صاديهم ووارديهم ثم قال تعالى وما نرسل بالآيات اي المقترحات وغيرها
الا تخويفا للرسل المهجر بها فان خافوا نجوا والا اهلكت بعذاب الاستيصال
من كذب بالايات المقترحة وبعذاب الاخرة من كذب بغيرها كالمعجزات
وايات القران فان امر من بعث الهم موخرا الى يوم القيمة فان قيل المقصود
الاعظم من اظهار الايات ان يستدل بها على صدق المدعي فكيف حصل
المقصود من اظهارها في التخويف اجيب بانه لما كان هو الحامل والغالب
على التصديق فكانه هو المقصود ولما طلب القوم من النبي صلى الله عليه
وسلم تلك الايات المقترحات واجاب الله تعالى بان اظهارها ليس بمصلحة
صار ذلك سببا لجراة اوليك الكفار بالطعن فيه وان يقولوا له
لو كنت رسولا حقا من عند الله لاتيت بهذه المعجزات التي اقترحناها
كما اتى به موسى وغيره من الانبيا فعند هذا قوى الله تعالى قلبه وبين له ان
ينصره ويؤيده فقال تعالى واذكر يا اشرف الخلق اذ قلنا لك ان ربك
اي المتفضل بالاحسان اليك بالرفق لامتك احاط بالناس علما وقدرة
فهم في قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج من مشيته فلا
يقدرون على امر من الامور الا بقضائه وقدره وهو حافظك
ومانعك منهم فلا تهتم باقتراحهم وامض فيما امرك به من تبليغ الرسالة فهو
ينصرك ويقويك على ذلك كما وعدك بقوله تعالى والله يعصمك من الناس
وقيل ان المراد بالناس اهل مكة بمعنى انه يغلبهم ويقهرهم روي انه لما تراءى
الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع ابي بكر كان يدعو
ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض
الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول
حين ورد بدرا والله كاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض
ويقول هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما
اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم عطف تعالى على وما نرسل بالايات
قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك اي التي شاهدتها ليلة الاسرى
الا فتنة اي امتحانا واختبارا للناس لانه صلى الله عليه وسلم قصة
لما ذكر لهم ليلة الاسرى كذبوه وكفر به كثير ممن كان قد امن به فازداد
المخلصون ايمانا فلهذا السبب كانت امتحانا وروى البخاري في التفسير
عن ابن عباس انه قال هي رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة اسري به وتقدم انه قول الاكثر منهم سعيد بن جبير والحسن ومسروق
وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وما قاله بعضهم من ان الرؤيا تدل
على انها منام ضعيف اذ لا فرق بين الرؤية والرؤيا في اللغة يقال رايت
بعيني رؤية ورؤيا فائدة قال بعض العلماء كانت اسرا انه صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم اربعا وثلاثين مرة واحدة بجسده والباقي بروحه رؤيا راها قال ومما يدل
على ان الاسرى ليلة فرض الصلاة كانت بالجسم ما ورد في بعض طرق الحديث انه صلى
الله عليه وسلم استوحش لما زج به النور ولم ير معه احدا اذ الارواح لا توصف
بالوحشة ولا بالاستيحاش قال ومما يدلك على ان الاسرى كان بجسمه ما وقع
له من العطش فان الارواح المجردة لا تعطش ولما كان قد اخبر صلى الله عليه قف
وسلم ان شجرة الزقوم تنبت في اصل الجحيم وكان ذلك في غاية الغرابة ضمها
الى الاسرى في ذلك بقوله تعالى والشجرة الملعونة في القران لان فيها امتحانا
ايضا بل قال بعض المفسرين هي على التقديم والتاخير والتقدير وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة في القران الا فتنة للناس واختلف
في هذه الشجرة فالاكثرون قالوا انها شجرة الزقوم المذكورة في قوله تعالى
ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وكانت الفتنة في ذكر هذه الشجرة من وجهين
الاول ان ابا جهل قال زعم صاحبكم ان نار جهنم تحرق الحجارة حيث قال
وقودها الناس والحجارة ثم يقول في النار شجرة والنار تاكل الشجر فكيف يولد
فيها الشجر والثاني قال ابن الزبعرى ما يعلم الزقوم الا التمر والزبد فتزقموا
منه فانزل الله تعالى حين عجبوا ان يكون في النار شجر انا جعلناها فتنة للظالمين
الايات وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك فان الله تعالى على ان
يجعل الشجرة من جنس لا ياكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة
ببلاد الترك يتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ
وبقي سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبلع الجمر وتبلع الحديد المحمى
بالنار فلا يضرها ثم اقرب من ذلك انه تعالى جعل في الشجرة نارا فما تحرقها
قال تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فان قيل ليس في القران
لعن هذه الشجرة اجيب عن ذلك بوجوه الاول المراد لعن الكفار الذين
ياكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت
بلعن اصحابها على المجاز الثاني ان العرب تقول لكل طعام ضار انه ملعون
الثالث ان اللعن في اللغة الابعاد ولما كانت هذه الشجرة مبعدة عن
صفات الخير سميت ملعونة وقيل ان الشجرة الملعونة في القران هي اليهود
لقوله تعالى لعن الذين كفروا وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وعن ابن
عباس هي الكشوث التي تلتوي بالشجر تجعل في الشراب ولما ذكر سبحانه
وتعالى انه يرسل بالايات تخويفا قال هنا ايضا ونخوفهم فما يزيدهم اي
التخويف الكافرين بالقران الا طغيانا كبيرا اي تجاوزا للحد هو في غاية العظم
فتقدر ان يظهر الله تعالى لهم المعجزات التي اقترحوها لم يزدادوا بها الا
تماديا في الجهل والعناد فاقتضت الحكمة ان لا يظهر الله لهم ما اقترحوه
من الايات والمعجزات فانهم قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر

Copyright © King Saud University